المحاضرة(10) رواد علم الاجتماع (6) اميل دوركايم (1858-1917)

X - أميل دوركايم: emile durkhiem(1858-1917):

1-- علم الاجتماع ومجالاته:

لقد تناول إميل دوركايم في نظريته الاجتماعية العديد من الظواهر الاجتماعية والمجالات الاجتماعية، وكانت من أهم دوافعه لذلك هو تحليل مشكلات المجتمع الأوروبي والمجتمع الفرنسي على وجه الخصوص، أي تحليل مشكلة النظام الرأسمالي، وتحليل الصراع الطبقي ومحاولة إيجاد حل يتمثل في تقسيم العمل ومراعاة القدرات الطبيعية للأفراد، من هنا مهد دوركايم لنظريته الاجتماعية بالرد على الفلسفات المثالية خاصة لدى كانت وديكارت وهيجل، وعلى الفلسفات الماركسية النقدية، لقد دفعت هذه الخلفية الايديولوجية إميل دوركايم إلى تأسيس نظرية اجتماعية تبحث في العديد من المجالات

كان إميل دوركايم يحبذ صراحة أن تزدهر فروع علم الاجتماع، وأن تنمو على نطاق واسع حيث يرى: " أن علم الاجتماع لا يمكن أن يصبح علما إلا إذا تخلى عن دعواه الأولى في الدراسة الشاملة للواقع الاجتماعي..."، وكتب على سبيل المثال في مؤلفه قواعد المنهج في علم الاجتماع يقول: "أن علم الاجتماع شأنه شأن كثير من العلوم الاجتماعية له من الفروع بقدر التنويعات الموجودة في الظاهرة الاجتماعية".

2-تعريف دوركايم لعلم الاجتماع: عرفه بأنه: "علم دراسة المجتمعات".

3- الأقسام الفرعية التي ينبغي أن يتضمنها علم الاجتماع:

أ-المورفولوجيا الاجتماعية: أو علم البيئة أو التركيب الاجتماعي: وهو علم يهتم بدراسة المجتمع البشري من الناحية الخارجية، ويتضمن بدوره على نوعين من الدراسة:

-دراسة جغرافية البيئة وسكانها وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي.

- دراسة السكان من حيث التخلخل وتوزيعهم على المساحة.

ب-علم الوظائف الاجتماعية: ووظيفته دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية وأوجه نشاط الأفراد في هذا الاجتماع، ويتضمن هذا الفرع :

-الاجتماع الديني: ويهتم بدراسة الدين وهو من أقوى مظاهر الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى الأخلاق.

- الاجتماع القضائي: ويهتم بالناحية التشريعية في المجتمع، والقانون...

- الاجتماع الاقتصادي: إنتاج الثروات وتبادلها وتوزيعها واستهلاكها...

- الاجتماع اللغوي: دراسة الظواهر اللغوية...

-الاجتماع الجمالي: الفن، الشعر، الخطابة...

ج-علم الاجتماع العام وهو فلسفة العلم: ينظر دوركايم لعلم الاجتماع بوصفه العلم الذي يتناول الدراسة العلمية للنظم من حيث نشأتها وتطورها ووظائفها.

4-الحقيقة الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع: حسب دوركايم؛ فإن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الحقائق الاجتماعية. "والحقيقة الاجتماعية عبارة عن أي حادثة مرتبطة بالمجتمع، أو لها بعض الروابط الاجتماعية.

بالمجتمع". وقد شرح دوركايم نفسه معنى الحقيقة الاجتماعية في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع بقوله: " الحقائق الاجتماعية ظواهر عامة تميز المجتمع بأسره، ويجب أن نعالجها عند الدراسة كأشياء مثل القوانين التي تمارس قهرا خارجيا على الأفراد".

وبمعنى آخر فإن الحقيقة الاجتماعية هي الظاهرة الاجتماعية نفسها، وهي الميدان الصحيح للدراسات السوسيولوجية .

وقد عرف الظاهرة الاجتماعية على أنها: " كل ضرب من السلوك ثابت كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم المجتمع بأسره، وكان ذا وجود مستقل عن الصورة التي يتشكل بها في الحالات الفردية".

فالوقائع الاجتماعية ليست مجرد أشياء بسيطة توجد على نحو مستقل خارج الشعور الإنساني والفعل البشري، حتى تتجلى بموضوعية للملاحظ؛ بل إن الواقعة الاجتماعية كيان جمعي كالأسرة والدين والتنظيمات المهنية- يتميز بنظام أو بناء خفي يكمن وراء الإدراك الحسي العادي

5-خصائص الظاهرة الاجتماعية:

- تلقائية أي موجودة من قبل.

- ملزمة للأفراد والجماعات.

- لها صفة العمومية.

- أنها خارجية.

6-قواعد المنهج في علم الاجتماع حسب دوركايم:

لقد أدرك دوركايم أن علماء النظرية الاجتماعية السابقين، قد أهملوا والى حد بعيد مهمة البحث عن المنهج الأكثر ملائمة لدراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية، فمعالجة كونت وسبنسر اتسمت بنوع من الغموض، وبالتالي كان الفضل في إرساء دعائم قواعد المنهج في علم الاجتماع إلى دوركايم، ولقد عالج ذلك في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع في البحث المعنون "علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية". وفي كتابه أيضا حول الانتحار

7- الخصائص التي يجب أن تتميزبها الدراسات الاجتماعية في علم الاجتماع:

- الظواهر الاجتماعية خارجية عن نطاق الإنسان الفرد.(علي الحوات، 1997 ص112).

- يجب دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها كأشياء، أي تعالج كما تعالج الظواهر الوضعية(خضوعها للملاحظة والتجريب).

- يجب التحرر من كل فكرة سابقة عند دراسة الظاهرة الاجتماعية، حتى لا يقع الباحث أسير الأفكار الشخصية.

- يجب البدء أولا بتقديم تعريف للظاهرة الاجتماعية.

- ينبغي على الباحث عند دراسته لطائفة من الظواهر الاجتماعية، أن يبذل ما في وسعه لملاحظة هذه الظواهر في الصورة التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية .

8-خطوات المنهج الدوركايمي: يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- دراسة الظاهرة الاجتماعية في نشأتها والوقوف على عناصرها المختلفة لأنها معقدة.

- دراسة تطور الظواهر والوقوف على أشكالها المختلفة.

- دراسة العلاقة التي تربط الظاهرة بغيرها من الظواهر والتي تنتمي إلى شعبتها.

- الانتفاع بمنطق المقارنة في دراسة الظواهر.

- الكشف عن الوظيفة التي تؤديها الظاهرة ، وما خضعت له الوظيفة من تطور عبر تاريخ الظاهرة.

- تحديد القوانين التي يتم التوصل إليها من الدراسة والتي ينبغي أن تصاغ بدقة .

والخطوات السابقة تعني أن الدراسة في علم الاجتماع يجب أن تكون دراسة تاريخية مقارنة، وهنا تبدو أهمية التاريخ، فبفضله يمكن تفسير الظاهرة والكشف عن وظائفها، فالمجتمع لا يصطلح على نظام ما لم تكن هناك دوافع وأسباب نشأت تاريخيا من ظروف المجتمع، وتجدر الإشارة إلى أن الاقتصار على مجرد الدراسة التاريخية قد يؤدي إلى قوانين نسبية لا تمثل الظاهرة إلا في نطاق ضيق الحدود، ولذا يجب أن يوسع دائرة استقراءاته وتدرس الظاهرة دراسة مقارنة، وهكذا تعد المقارنة كركن أساسي من أركان المنهج الاجتماعي، وتتخذ المقارنة ثلاث صور هي:

- المقارنة بين نظم وظواهر المجتمع الواحد.

- المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة، وليست من شكل اجتماعي واحد.

-المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متشابهة وغير متمايزة.

9- تطور المجتمعات وأشكالها:

يجمع تقسيم دور كايم للمجتمعات بين مبدأين اثنين: مبدأ التركيب الاجتماعي، ومبدأ توزيع الوظائف، وتنقسم المجتمعات من وجهة نظر دوركايم إلى قسمين:

أ- مجتمعات محدودة النطاق، بسيطة وغير معقدة التركيب، وغير مميزة الوظائف، وغير خاضعة لمبدأ توزيع العمل، ويعتقد دوركايم أن أول شكل اجتماعي يمكن تصوره هو المعشر، ثم العشيرة، ثم الاتحاد وأخيرا القبيلة، ويرى أن الدين يعد من أقوى مظاهر الحياة الجمعية، وقد سمى هذه الأشكال من المجتمعات بالمجتمعات البدائية، وهي مجتمعات يغلب عليها سيادة العرف والتقاليد، ويسودها التضامن الآلي.

ب-مجتمعات واسعة النطاق ومتميزة الوظائف وتخضع لمبدأ تقسيم العمل: ويسميها دوركايم بالمجتمعات التاريخية ومن أمثلتها نظام المدنية: كالمدن اليونانية والرومانية، والإمبراطوريات القديمة : كالإمبراطورية الرومانية، ففي هذه المجتمعات يتعقد التركيب الاجتماعي ويغلب عليها سلطة القانون.

10- نظرية دوركايم في تقسيم العمل:

يعتبر تقسيم العمل من بين أهم الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها منظور دوركايم الوظيفي لتحقيق التكامل والتضامن بين الأنظمة الاجتماعية...حيث انه نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي والصناعي وتراكم العلوم والمعارف وتعقد العمل وزيادة التخصصات؛ كان لا بد من توزيع إمكانات الأفراد وما يرتبط بها من أدوات وعلاقات وتوقعات بين أعضاء المجتمع حتى يمكن انجاز العمل وتحقيق أهداف المجتمع.

ولا يؤدي تقسيم العمل في المجتمع إلى انحرافات أو تضاربات للاهتمامات بين أعضاء المجتمع، بل يؤدي إلى تحقيق درجة عالية من التضامن والتكامل بين أعضاء المجتمع، وهنا لا يتم التكامل والتضامن الاجتماعي على أساس الجسم المشترك من المعايير الاجتماعية ، بل يتم على أساس الاهتمامات والمصالح والأهداف المشتركة.

إن وظيفة تقسيم العمل تصبح لازمة وضرورية لمقابلة حاجات المجتمع ومتطلباته من أجل بقائه واستمراره في الوجود، ووظيفة تقسيم العمل في المجتمع هي تحقيق التكامل والتناسق والتضامن بين أجزائه، كما يساعده على بلوغ أهدافه وتحديد السمات الأساسية واللازمة لمؤسساته وأنظمته. ويطرح عبد المعطي عن ارون سؤالا هاما هو لماذا أطلق دوركايم التضامن القائم على التباين تضامنا عضويا ؟ هنا تدخل المسألة البيولوجية للتبرير.

11-نظرية دوركايم في الدين:

يعتبر كتاب دوركايم "الصور الأولية للحياة الدينية the elementary forms of religion life الصادر سنة 1912 من بين أهم أعماله، وتقوم دراسة دوركايم للدين على أساس أن الظواهر الدينية تنقسم إلى قسمين:

* القسم المقدس: ويقصد بالمقدس كل شيء في نظر الديانات يكون من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن أشياء العالم العلماني (الآلهة والكائنات الروحية، والنصوص الدينية وغيرها)، أي أن القسم المقدس يتعلق بالعقائد وما يتصل بها.

* القسم العلماني: ويتعلق بالطقوس والعادات وما يتصل بها، ويشمل الطقوس التي تنظم سلوك الإنسان اتجاه القسم المقدس مثل: الصلاة، الزكاة، الصوم وغير ذلك .

* ولقد عرف دور كايم الدين على أنه: " مجموعة متماسكة من العقائد والأعمال المتصلة بالعالم القدسي أو التي يظن مجيئها من قبل هذا العالم، وهي عقائد وأعمال تشترك في إتقانها ومزاولتها مجموعة من الأفراد يتكون منهم مجتمع خاص".

*كما اهتم دوركايم بدراسة أصل الديانات، وتوصل إلى أن المفكرين اتجهوا في ذلك إلى مذهبين هما:

-المذهب الطبيعي: ويرى أن الإنسانية اتجهت في بداية نشأتها إلى عبادة مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس، والكواكب، والقمر، والنبات، ويرى أن عبادة الأرواح تشعبت من هذا الاتجاه.

- المذهب الروحي: ويرى أن الإنسانية لجأت في بداية تدينها إلى عبادة الكائنات الروحية التي تتمثل في الآلهة والملائكة وأرواح الموتى